

شملت رءوف عباس وطوغان و30 مثقفا ومدرسة تاريخية بأكملها

حملة إرهاب المثقفين المصريين

رأس الحملة الصهيونية ببينين.. والجامعة الأمريكية مهددة بالتحول إلى وكر للتطبيع

الحملة الجديدة تعيد إلى الذاكرة خطابات التهديد التي وجهتها حركة "كاخ" الاسرائيلية وزعيمها "مائير كاهانا" إلى عدد من المثقفين وقادة الرأي العام في مصر، في ثمانينيات القرن الماضي..

عبد العال الباقوري

4 نوفمبر 2007

هل هي مصادفة خالصة انه بعد أيام معدودة من اتهام الأستاذ الدكتور رءوف عباس المؤرخ العربي الكبير ب"معاداة السامية" أن يصدر اتهام مماثل ضد الفنان الكبير أحمد طوغان و30 من كبار المثقفين؟ صدر الاتهام الأول في يوم الجمعة 26 أكتوبر الماضي، وقد نشر في اليوم نفسه في مجلة أسبوعية هي "الأهرام العربي" وفي صحيفة يومية هي "البديل" ووجه الاتهام مؤرخ أمريكي هو "جونيل بينين" رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط في الجامعة الأمريكية بالقاهرة حالياً والذي أصدر عدة كتب مثيرة للجدل والخلاف. ولم يقصر اتهامه الذي لن أقوم بتوصيفه الآن على الدكتور رءوف عباس وحده، بل مده إلى "المدرسة القومية المصرية في قراءة التاريخ"، كما جاء في حديث "بينين" إلى "البديل" والي "عدد كبير من المؤرخين المصريين الذين وصمهم بكونهم معادين للسامية أيضاً، حسبما ورد على لسانه في "الأهرام العربي".

بعد أيام من هذا، وعلى وجه التحديد في يوم الثلاثاء 30 أكتوبر الماضي، نشرت صحف مصرية ان "منظمة مكافحة التشهير" الصهيونية الأمريكية اتهمت أيضا رسام الكاريكاتير المعروف أحمد طوغان بـ "معاداة السامية" وشملت قائمة أصدرتها هذه المنظمة الصهيونية الأمريكية 30 صحفياً وكاتباً مصرياً، وصممتهم جميعاً بمعاداة السامية.

لقد أطلق "بينين" مدفعية اتهامه من القاهرة، وضد مؤرخ عربي كبير وضد مدرسة تاريخية كاملة زعم أنها "لا تري إلا الأبيض والأسود" ولم يسند اتهامه هذا بأي دليل أو برهان، ومن المؤكد انه لا يملك دليلاً واحداً يبيّن عليه هذا الادعاء الذي أظن انه أمر مقصود، وانه بداية لحملة جديدة ضد المثقفين المصريين، وليست مصادفة بأية حال أن جاءت قائمة "منظمة مكافحة التشهير" بعد أيام من الحكم الذي أعطي "بينين" نفسه الحق في إصداره وقد جاء اتهامه هذا مرتبطاً بما أثير بشأن كتابه "شتات اليهود المصريين" الذي أصدرته مترجماً دار نشر عربية كبيرة، هي دار الشروق. والمثير هنا أن الدار نفسها، أصدرت في العام الحالي أيضاً ترجمة كتاب تاريخ الإستشراق وسياساته: الصراع على تفسير الشرق الأوسط" الذي كتبه "زخاري لقمان" شريك "بينين" في كتب أخرى منها كتاب من جزأين عن "العمال والحركة السياسية عن دار الشروق تناول فيه حواراً مع الأستاذ الدكتور بطرس غالي وشيخون بيريز الوزير ورئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق، ورئيس الدولة الحالي. وقد صدرت الترجمة دون أية كلمة تعقيباً على كثير من الافتراءات التي وردت على لسان بيريز.. فلماذا هذه الدار ولماذا هذه الكتب وفي هذا الوقت بالذات؟! خاصة وان "بينين" نفسه رفض عرضاً من المشروع القومي للترجمة بترجمة كتاب "شتات اليهود المصريين" ووضع شروطاً محددة للموافقة على الترجمة منها عدم كتابة أي تعليق حول بعض ما ورد فيه، وهو ما تحقق بالفعل في الترجمة التي نشرتها "دار الشروق".

وعلى الرغم من تهافت الاتهام الذي وجهه "بينين" وعلى صفحات صحف مصرية، ضد الدكتور رءوف عباس ومؤرخين آخرين لم يذكرهم بالاسم، إلا ان الغضب في ظني أكبر وأخطر من هذا، خاصة إذا ربطناها بما صدر عن "منظمة مكافحة التشهير" الصهيونية الأمريكية. إننا أمام حملة جديدة تعيد إلى الذاكرة خطابات التهديد التي وجهتها حركة "كاخ" الاسرائيلية وزعيمها "مائير كاهانا" إلى عدد من المثقفين وقادة الرأي العام في مصر، في ثمانينيات القرن الماضي.. وحملة الاتهامات الجديدة لا تختلف إلا من حيث الشكل مع حملة الإرهاب والتخويف السابقة، بل إن الحملة الجديدة أخطر، لأنها تهجم المثقفين المصريين وفي القلب منهم المؤرخون في بلدهم وعلى أرضهم، وفي عقر دارهم، كي يكونوا في موضع الدفاع. وهذه سياسة إسرائيلية صهيونية بدأت منذ سنوات، ويشارك فيها شخصيات إسرائيلية وصهيونية مختلفة، يحرصون كما هو واضح على إدارة معركتهم ضد مثقفين مصريين من داخل مصر ذاتها، ويتم ذلك بأساليب ووسائل مختلفة، وبعض المشاركين معروفون بل ومكشوفون، وهناك آخرون لا نعلمهم، ويحاول بعضهم تغطية وجوههم وارتداء أقنعة مختلفة، مستعارة في غالبيتها من خزائن "اليسار الصهيوني" الذي يحاول جاهداً وفي الوقت الحالي إعادة كسب ولاء قوي من اليسار المصري، وهي قوي يستميلها هؤلاء بالحديث عن "السلام" والدفاع عن "حقوق الشعب الفلسطيني" وهذه قصة لها خلفيات كثيرة تناولها "بينين" نفسه في كتابه عن السياسات الماركسية والنزاع العربي الإسرائيلي" الذي صدرت ترجمته العربية في 1996 وهو كتاب له نظير آخر كتبه "يوسي اميتاي" الأستاذ في جامعة بن جوريون في النقب، عن موقف اليسار المصري من قضية فلسطين.. و"امتاي" وقصته مع اليسار المصري ليست بعيدة ولا مقطوعة الصلة بقصة "بينين". كان الأول يتردد على القاهرة، ويتقرب من بعض اليساريين الذين يبدو انه استمالهم برطانتته اليسارية وحديثه عن "السلام"، ونقده لسياسات الحكومات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، ولا مانع من الحديث عن حقوق شعب فلسطين، ومنها حق تقرير

المصير.. ولكن الأفتعة ما لبثت أن تساقطت، فإذا بـ "اميتاي" اليساري الناقد والرافض لسياسات حكومته يأتي مديرا للمركز الأكاديمي الإسرائيلي، بالقاهرة. وكان هذا في ظل حكومة "بنيامين نتنياهو، وهي من أكثر حكومات الكيان الصهيوني يمينية. وبعد أن انتهت مهمة "اميتاي" الرسمية والحلفية في القاهرة، لا يزال يتردد عليها، ولا يزال بكل أسف يجد من "قدامي اليساريين" من يجتمع معه ويصغي إليه. ولا يتستر "اميتاي" له على مهمته، بل انه يشير مرزاً، في مقالات يكتبها في صحيفة "الحياة" السعودية، إلى بعض من يجتمع معهم.. وحين كنت رئيساً لتحرير صحيفة "الأهالي" لسان حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي تلقيت من "اميتاي" هذا، عن طريق أحد المحررين، مقالا قرأته بدقة وإمعان وترددت كثيرا في نشره. وكان هو يلح على الزميل الذي أرسل المقال عن طريقه في نشر المقال. وأعدت قراءته مرة واثنين، وأرسلته إلى قسم الصف في الصحيفة، بعد أن كتبت تعليقا مطولا عليه. وعرضت الأمر على مجلس التحرير الذي عارضني فيما ذهبت إليه، ورفض النشر. ولم أملك إلا النزول عند إرادة مجلس التحرير.. خاصة وأني أقف بقوة وحسم ضد أي مظهر يمكن ان يؤخذ على انه "تطبيع" مع أي إسرائيلي أو صهيوني وهنا، فإن "اليسار الصهيوني" لا يقل خطرا عن اليمين، بل إنه يفوقه ويتفوق عليه..

وتقلب الإسرائيليين والصهاينة ما بين اليسار واليمين ظاهرة معروفة في الكيان الصهيوني وفي خارجه ولعل خير نموذج على ذلك هو المؤرخ "بني موريس" صاحب أول دراسة إسرائيلية في بابها عن "طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين" وقد صدرت الترجمة الانجليزية لهذه الدراسة في 1988، وتمت ترجمتها إلى العربية في 1993، بعد أن دأب صيت "موريس" وزملائه من "المؤرخين الجدد" الذين أشار إليهم "بينين" في كتابه "السياسات الماركسية..". وسماه "المؤرخين التقيحيين الإسرائيليين" ولكن "موريس" هذا ما لبث أن تراجع عما كتب عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وأدلى بحديث صحفي خطير ينضح عنصرية وعدوانية ضد العرب والفلسطينيين، وانتقد فيه موقف "ديفيد بن جوريون" أول رئيس وزراء في الكيان الصهيوني لأنه لم يظهر "أرض إسرائيل" من جميع العرب..

"بينين" قد يكون نموذجا آخر من هؤلاء، فهو يعترف بماضيه الصهيوني، ويعلن اليوم انه قرر منذ صيف عام 1970 أن يتخلى عن الصهيونية كمرجع فكري ليهتدي به"، حسبما جاء في تقديم الدكتور خالد فهمي للكتاب "شتات اليهود المصريين"، وقد أشاد به لأنه لا يتوارى خلف أسوار الجامعة، ولا يسكن أبراجها العاجية، بل هو "كثير الحديث في الإذاعات ومحطات التلفزيون الأمريكية المستقلة كما في الفضائيات المصرية، وهو في تلك الأحاديث لا يتردد في توجيه أشد الانتقادات لإسرائيل، متهما إياها بأنها دولة استعمارية، ومدافعا عن حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم، بما في ذلك حقهم في دولة مستقلة. كما لا يتردد جونيل "بينين" في توجيه اتهاماته للقادة الإسرائيليين عن السياسة العنصرية التي ينتهجونها تجاه الفلسطينيين والعرب عموما، وقد طالب بمحاكمة "اريل شارون" عن دوره في مجزرة صابرا وشاتيلا في بيروت عام 1982". ودون التشكيك في صحة ذلك، فإن الصهاينة والإسرائيليين في داخل الكيان الصهيوني يقولون هذا وأكثر منه، ومن يتابع ما تنشره الصحف الإسرائيلية يوميا يعرف انه لا جديد فيما يقوله ويكتبه "بينين" خاصة وأنه كما يقول غادر الكيان الصهيوني.. فهل لن يعود إليه؟!

ولعلنا نذكر ان قيادات "حزب العمل" الإسرائيلي التي قادت أكبر مظاهرة في تاريخ الكيان الصهيوني ضد غزو "شارون" للبنان تحالفت مع "شارون" قبل أن يسقط صريع المرض، وأصبحت من أركان حكمه، مثل "شيمون بيريز" رئيس الدولة الحالي، الذي كان يوصف عادة بأنه من الحمانم، ولم يعد نقد أو حتى "شتم" حكومات الكيان الصهيوني بضاعة تنطلي على أحد.. ومع ذلك فإن اعتراف "بينين" اليوم بأنه لم يعد "صهيونيا" وقوله في عبارة ملتبسة انه تخلي عن "الصهيونية كمرجع فكري يهتدي به"، يثير السؤال الأساسي هنا حول تعريفه للصهيونية الممارسة والسياسة وليس الفكرة فقط. وفي ظني أنه بتحديد ذلك يمكن أن نكتشفه من خلال معايير محددة، تكمن في إجابته عن الأسئلة التالية:

- هل يؤمن السيد "بينين" ويعتقد أن اليهود شعب واحد عبر التاريخ؟!
- هل يؤمن أولا يؤمن بأن لهذا الشعب الحق في العودة إلى أرضه الموعودة "أرض إسرائيل"؟!
- هل يري أن العرب مطالبون بالاعتراف بـ "حق إسرائيل في الوجود"؟!
- ما موقفه من حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى وطنهم وأرضهم..؟!

وقد أشار الدكتور خالد فهمي في تقديمه لكتاب "شتات اليهود المصريين" إلى جوهر الصهيونية التي تقوم على "ان اليهود يشكلون شعبا موحدا" وفي تقديري أن من يعتقد هذا فهو صهيوني، حتى لو صلي وصام وحج إلى بيت الله الحرام.. فمن المعروف أن الصهاينة ليسوا جميعا يهودا، فهناك صهاينة غير يهود، وهناك أيضا وبالأكيد يهود غير صهاينة. وقد أصبح من الواضح اليوم ان السياسة العربية بعمامة والفكر العربي بعمامة أيضا يفرقان بين الإسرائيلي والصهيوني واليهودي. ومن المتفق عليه ان العداء العربي ليس ولم يكن ضد اليهود، ولكنه ضد الإسرائيليين والصهاينة، وضد كل من يؤيدهم في مواقفهم وسياساتهم وأعمالهم تجاه العرب والفلسطينيين..

وفي ضوء هذا، يثبت بطلان الاتهام الذي ادعاه "جونيل بينين" ضد الدكتور رعوف عباس وزملائه في المدرسة التاريخية المصرية وأستطيع أن أسند هذا البطلان بما كتبه "بينين" نفسه.. ولكن يكفي هنا تذكيره بأن تهمة "معاداة السامية" لا تجديه وأمثاله نفعاً فيما يدبرونه ويريدونه. ولكن هذا الاتهام ينبهنا بقوة إلى أن هناك قوي تريد أن تنقل المثقفين العرب، والمصريين خاصة، إلى موقف الدفاع تجاه الإسرائيليين والصهاينة.. وهؤلاء يريدون أن يضربوا آخر حصون مقاومة التطبيع، وهو الحصن الثقافي الذي يقف المؤرخون بعمامة في مركز القلب منه. ولعل مجيئ "بينين" إلى مركزه الحالي في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، ليس بعيدا عن "هوجة" التطبيع التي يهدف الصهاينة وحماهم الأمريكان إلى أن تبلغ ذروتها في مؤتمر "أنابوليس" الذي جرى الإعداد له حاليا.. أن الصهاينة، وفي القلب منهم الإسرائيليين، يريدون أن يعودوا بنا إلى فترة كانت مصر فيها للأسف مفتوحة أمام الصهاينة وزعمائهم من هيرتزل إلى حايمم وايزمان وغيرهما، والتي الفترة التي كانت فيها صحف تصدر في مصر لتدافع عن الصهيونية وأهدافها وعماسمه "حق اليهود" في العود إلى بلادهم التي طردوا منها.. وفي تقديري أن سهام الاتهام بمعاداة السامية التي انطلقت من هذا الوكر أو ذاك هي مجرد طلقة أولي في عملية يجري تخطيطها منذ سنوات. ولا يخفي الإسرائيليون رؤيتهم بأن مصر هي ألد أعدائهم، ويرون أن هناك فرصة سنحت في ظل الوهن الحالي في الجسد المصري لاختراقه وإدارة المعركة ضده فوق أرضه.

ومن ثم، يجب عدم الاستهانة بهذه الهجمة الجديدة، بل يجب التنبيه لها، ونزع الأقنعة عن الوجوه التي تتخفي وراءها، أي فضح حقيقتها، وعلي رأسها قناع "اللاصهيونية"، الذي يعني معاداة الصهيونية لفظاً وقولاً، ومساندتها فعلاً وممارسة وإذا كان السيد "بينين" لا يري نفسه منخرطاً في هذه الدائرة، فعليه أولاً أن يجيب عن الأسئلة الكاشفة التي نطرحها عليه، وعليه ثانياً أن يعتذر ويتراجع علانية عن الإساءة التي صدرت منه والاثام الباطل الذي وجهه إلى الدكتور رءوف عباس والي المدرسة التاريخية القومية المصرية.

فإن لم يفعل السيد "بينين" هذا وأغلب الظن انه لن يفعل فعلينا ان نبدأ في دراسة أعماله وكشف "قضاياها" الصهيونية، خاصة كتابه الأخير عن "ثغات اليهود المصريين". من قبل، وحين صدر كتاب "نتنياهو" بعنوان "مكان تحت الشمس" صدرت عشرات الكتب العربية ضده: تصويبا ونقدا ومعارضة وحقاً لادعاءاته الكاذبة، على أن يتكامل هذا مع السعي بكل وسيلة علنية لإزاحته عن موقفه في جارتة مقامة فوق أرضنا، بل ولطرده من بلدنا، مع كشف علاقاته المختلفة والتي لا تزال مختبئة والتي بناها عبر أربعة عقود من السنين تقريبا، والتي جيء به من جامعة "ستانفورد" الأمريكية الشهيرة والتي عمل بها منذ عام 1983، جيء به إلى القاهرة، لإنجاز مهام محددة، فيما وراء وأمام أسوار الجامعة. وهو في هذا المجال يقوم بدور وحدة الاستطلاع التي تكشف المواقع قبل قصفه. وفي مواجهة هذه الهجمة يجب أن تستند وتتلقى قوي الدفاع عن الثقافة القومية وعن التاريخ المصري، وعن المؤرخين المصريين. إن مصر التي حرمت "هيرتزل" مؤسس الحركة الصهيونية من حلم بناء مقبرة له في سيناء كما ذكر في مذكراته قادرة وإن طال المدى على ضرب جميع المخططات الصهيونية التي تحاك ضدها. وهذا التنازل لا يعني بأية حال التقليل من خطورة المعركة ولا الاستهانة بالأعداء والخصوم الذين يشنون المعركة على الجبهة الثقافية عنيفة وفاصلة.

<http://www.al-araby.com/docs/article1311723.html>